سياسة اللين والشدة
وأثرها على انتشار الإسلام في المغرب (22-122هـ)

د: هدى حسن النيهوم

تعد ظاهرة انتشار الإسلام في بلاد المغرب ظاهرة فريدة، لم تتكرر في بلادٍ أخرى وطئتها أقدام الفاتحين، فالبربر اعتنقوا الإسلام، وحَسُن إسلامهم، وتفانوا في خدمته، فكان لهم دورٌ ملموسٌ في إكمال فتح المغرب، بل وقع على عاتقهم عبء فتح شبه الجزيرة الأيبيرية.

دور قادة الفتح في نشر الإسلام في بلاد المغرب وتـراوح سياستهـم بيـن الليـن والشـدة:

حرص العرب منذ السنوات الأولى للفتح على اتباع سياسة اللّين مع سكان البلاد الأصليين، ومحاولة اجتذابهم إلى الإسلام بالموعظة الحسنة والإقناع، بل إنَّ الإسلام عرف طريقه إلى برقة قبل دخول "عمرو بن العاص" إليها عام (22هـ)، حيث يشير "الشطيبي" في كتابه: "الجمان في أخبار الزمان" إلى أن بربر برقة "لواته" لمَّا علموا بتقدم القوات الإسلامية نحوهم، أرسلوا إلى عمرو رسلًا يعرضون عليه أن يدخلوا في الإسلام على يديه، وأن يوالوا المسلمين، ويعاونوهم في الفتوحات، فأرسلهم "عمرو" إلى الخليفة "عمر بن الخطاب" (رضي الله عنه) الذي رحب بهم أحسن ترحيب، وبعث إلى "عمرو" يأمره أنْ يجعلهم في جنده[1]. ونلاحظ من هذه الرواية أن بربر برقة أعلنوا استعدادهم لقبول الوجود العربي قبل أنْ يأتيَ العرب إلى

(1) نقلًا عن حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، المكتبة الثقافية الدينية (د.م، د.ت)، ص54.

بلادهم، وهذا يعني انحياز فئات من البربر إلى جانب العرب منذ بداية الفتح، وربما يكون السبب في ذلك رغبتهم في الخلاص من الحكم البيزنطي الجائر، واستبداله بالحكم الإسلامي المتسامح، وبالتأكيد فإن البربر لم يكونوا بمعزل عن الأحداث والتقلبات الكبرى التي حدثت، وكانوا على علم بما حققه المسلمون في المشرق (العراق، الشام، مصر)، من انتصارات على أكبر إمبراطوريتين آنذاك "الفارسية، والبيزنطية".

كان نشر الإسلام في المغرب يسير مع عمليات الفتح في خطين متوازيين، فكان قادة العمليات العسكرية في غالب الأحيان دعاةً للدين الجديد، والنصوص التاريخية التي بين أيدينا تؤكد هذه الحقيقة، فالبلاذري يشير إلى أن "عمرو بن العاص" بعد فتحه برقة عام 22هـ، وعقده صلحًا مع أهلها، وجه حملة صحراوية(*) لفتح المدن، والواحات الجنوبية، فأصبح "ما بين زويلة وبرقة سلم، كلهم حسُنت طاعتهم، قد أدى مسلمهم الصدقة، وأقر معاهدهم بالجزية"[1].

وقد أسس "عمرو" في هذه المرحلة المبكرة من الفتح مسجدًا في طرابلس أمام باب

(*) أغلب المصادر تشير إلى أن هذه الحملة كانت بقيادة عقبة بن نافع، ولكن الأصح أنها كانت بقيادة والده نافع بن عبد قيس الفهري. ينظر المناقشة القيمة التي قام بها سعد زغلول عبد الحميد في كتابه: "تاريخ المغرب العربي"، منشأة المعارف (الإسكندرية، 1995) 1/135-136.

([1]) أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق عبد الأمير مهنا، ط1، دار اقرأ (بيروت، 1992)، ص324.

هوارة، كما أسس مسجدًا آخرَ في زنزور[1]، وكانت مساجد بسيطة تُتخذ للعبادة، ولتعليم البربر المسلمين (اللغة العربية، وقواعد الدين)، ويُذكر بأن عقبة بعد عودة عمرو إلى مصر، استقر في البلاد الصحراوية ببرقة؛ يدعو إلى الإسلام، فنجح في كسب ثقة الكثير من سكان البلاد؛ مثل قبيلة: لواته، وهوارة، ونفوسة، فدخلوا في الإسلام، ومما يدل على إقبال البربر منذ السنوات الأولى للفتح على الإسلام، وإظهار خضوعهم للعرب، أن بربر برقة كانوا يؤدون ما عليهم من أموال، ويحملونها بأنفسهم، ولا ينتظرون وقوف الجباة عليهم، وفي ذلك يقول البلاذري: "إن أهل برقة كانوا يبعثون بخراجهم إلى والي مصر، من غير أن يأتيهم حاث أو مستحث، فكانوا أخصب قوم في المغرب"[2]، ومما يؤكد –أيضًا– على مسالمة أهل برقة وصحراواتها للمسلمين، وانتشار الأمن، والاطمئنان بينهم قول "عبد الله بن عمرو بن العاص: "لولا مالي بالحجاز لنزلت برقة، فما أعلم منزلًا أسلم ولا أعزل منها"[3].

بعد فتح برقة وطرابلس، وما يتبعهما في الصحراء، توقفت عمليات الفتح لفترة من الزمن، تقدمت بعدها القوات الإسلامية ناحية إفريقية بقيادة "عبد الله بن سعد بن أبي السرح"، وخاضت معركة فاصلة مع البيزنطيين في سبيطله عام (27هـ)، كان من أهم نتائجها دخول العديد من زعماء القبائل البربرية إلى الإسلام، مثل وزمار

([1]) صالح المزيني: تاريخ ليبيا منذ الفتح الإسلامي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 1994) ص253.

([2]) البلاذري: فتوح البلدان، ص324.

([3]) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بن صقلاب –أمير مغراوة، وسائر زناتة– حيث يشير "ابن خلدون" إلى أن هذا الرجل وقع في الأسر في سبيطله، وبُعِث به إلى الخليفة "عثمان بن عفان" (ﷺ) ليرى أمره فيه، فاستطاع أن يقنعه بدخول الإسلام، وعيّنه أميرًا على قومه، وحثّه على نشر الإسلام بينهم[1]، ويذكر المالكي في رياضه: أن أبا السرح بنى مسجدًا في إفريقية عُرِف باسمه[2].

ومن خلال هذه النصوص يمكننا القول: إنَّ التفاهم بين الفاتحين، وسكان البلاد الأصليين وخاصة البربر، قد بدأ يلوح في الأفق، وأن عملية إدماج البربر في دولة الإسلام قد بدأت تخطو خطوات جيدة، والدليل على ذلك وصية الخليفة "عمر بن الخطاب" (ﷺ) بإشراك الوفد اللواتي –الذي زاره في المدينة– في الجيش الإسلامي في المغرب، وكذلك تأمير الخليفة "عثمان بن عفان" (ﷺ) لوزمار على قومه، وحثه على نشر الإسلام بينهم.

وتزامنًا مع حملة "معاوية بن حديج الكندي" (45–47هـ) التي أدت إلى فتح بنزرت، وجربة، وجلولاء، ونشر الإسلام بين بعض القبائل المغربية في أفريقية[3]. كان "عقبة بن نافع" يقود حملة صحراوية عام (46هـ) استهدفت المناطق

([1]) عبد الرحمن محمد بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني (بيروت، 1959) 107/2.

([2]) أبو بكر عبد الله المالكي، رياض النفوس، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، ط2 (بيروت، 1994) ص67.

([3]) جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود هيكل، منشأة المعارف (الإسكندرية، 1991) ص35.

الصحراوية جنوب طرابلس، وأفريقية، وكما يبدو فقد كانت حملة تأديبية[*]؛ لأن بعض المناطق التي فُتِحت في السابق في حملة "عمرو بن العاص" كانت قد خرجت عن الطاعة، وخرقت الاتفاقيات المبرمة مع العرب، وقد بدأ عقبة حملته بافتتاح ودان، وفرض غرامة على أهلها، ثم زحف نحو جرمة –وهي قصبة فزان– ودعا أهلها إلى الإسلام، ثم واصل زحفه جنوبًا على قصور فزان، حتى انتهى إلى خوار، لكنه عجز عن فتحها، فمضى إلى كوار فافتتحها، وأدب ملكها الذي خرج عن الطاعة، ثم عاد خفية ففاجأ أهل خوار وفتحها، ومنها انصرف إلى زويلة، ثم توجه بعد ذلك غربًا إلى إفريقية، وافتتح في طريقه مزاته، وقفصة، وقسطيلية، ووصل إلى المكان الذي بُنيت فيه القيروان فيما بعد[1].

كان هدف عقبة من حملته الصحراوية تأديب القبائل التي خرجت عن الطاعة، وأيضًا نشر الإسلام بينهم، لذلك نراه يعرض عليهم الإسلام، فإن قبلوه ترك فيهم من يعلمهم قواعد الدين، وإن رفضوه قاتلهم بشدة حتى يهزمهم، وبالتالي كان لعقبة دور كبير في توطيد العروبة والإسلام في الأراضي الليبية، بل وإشراك بعض البربر في الجيوش الإسلامية، ومصداق ذلك قول "ابن الأثير": إنَّ من أسلم من البربر انضم

---

[*] فضل عقبة في هذه الحملة التأديبية اتباع أسلوب القوة، واستعمال البطش، فهو لم يتورع عن قطع أذن، أو إصبع ملوك المناطق التي يسير فيها. ينظر أبو القاسم بعد الرحمن بن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد صبيح، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر (القاهرة، د.ت) ص ص132–133.

(1) المصدر نفسه، الصفحات نفسها.

إلى الجيش العربي الذي رافق عقبة في حملته الأولى[1].

وقد كافأت الدولة عقبة على جهوده في الفتح، ونشر الإسلام، فعُيِّنَ واليًا على المغرب عام (50هـ)، وكان الجيش الذي دخل به إفريقية مكونًا من عشرة آلاف جندي، فيهم ثمانية عشر صحابيًّا عدَا التابعين، كلهم أهل علم وفقه ورغبة في الجهاد[2]، وقد رأى عقبة –وكانت خبرته بالبلاد وأهلها قد تعمقت من طول مُكْثِه بها– أن السبيل الأمثل لتثبيت أقدام المسلمين في المغرب لا يتأتى إلا ببناء قاعدة آمنة للجيوش الإسلامية، تكون نقطة لانطلاق الفتوح غربًا، ومركزًا لنشر الإسلام، وقد عبر عن ذلك بقوله: "إنَّ إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع كل من أجاب لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزًّا للإسلام إلى آخر الدهر"[3].

وعندما استشار عقبة أصحابه في اختيار موقع المدينة، اقترحوا عليه أن تكون رباطًا؛ فقالوا: "نَقْرُب من البحر ليحصل لنا الجهاد والرباط"[4]، ولكن عقبة لم يستحسن رأيهم؛ لخشيته هجوم الأساطيل البيزنطية على السواحل المغربية، فجعلها مدينة داخلية، وقد قام عقبة بوضع أساس أول مسجد في بلاد المغرب، "ثم أتى

([1]) أبو الحسن عز الدين بن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط2 (بيروت، 1999) 63/3.

([2]) أبو عبد الله بن محمد ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة العربية، ط3 (بيروت، 1983) 20/1.

([3]) المصدر نفسه، 19/1.

([4]) المصدر نفسه، والجزء والصفحة.

إلى موضع المسجد الأعظم فاختطه، ولم يحدث فيه بناءً، وكان يصلي فيه وهو كذلك"[1]، وقد دعا عقبة الله تعالى عندما فرغ من بناء المدينة أن يجعلها مدينة علم وفقه بقوله: "يا رب املأها علمًا وفقهًا، واعمرها بالمطيعين والعابدين، واجعلها عزًّا لدينك، وذلًّا على من كفر، وأعز بها الإسلام"[2]، وكان عقبة مستجاب الدعوة؛ فعلى المدى القريب تحقق إسلام بعض البربر –في أثناء تخطيط القيروان– ويؤيد ذلك ما ذكره ابن الأثير: "ودخل كثير من البربر الإسلام"[3].

وفي هذا دلالة كبيرة على أن الصلات بين الفاتحين والبربر بدأت تتوثق عراها بعد أن تفهم البربر نوايا المسلمين التي لن تضر بمصالحهم، وعليه فإن بناء القيروان في هذا الوقت يؤكد على أن الوجود الإسلامي في البلاد أصبح أمرًا واقعًا، وأن المنطقة التي تخضع لنفوذه في حاجة إلى مدينة تقوم مقام قرطاجة، وترعى مصالح من دخل الطاعة من أهل البلاد[4].

ولكن عقبة –بسبب التقلبات السياسية في المشرق– لم يستمر ليجني ثمرة ما بذله من مجهودات، فقد استُغْنِيَ عن خدماته واستُبْدِلَ بأبي المهاجر دينار (55هـ)،

(1) المالكي: رياض النفوس، ص12.

(2) المالكي: رياض النفوس، ص10.

(3) الكامل، 63/3.

(4) محمود أحمد أبو صوة: مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي، منشورات ELGA (مالطا، 1997) ص104.

الذي كان يعتبر موالِيًا لوالي مصر "مسلمة بن مخلد الأنصاري"[*]، ولكن رغم ذلك فقد تحقق للمسلمين إنجاز كبير، تمثل في استقطاب قبيلة أوربة البرنسية وإسلامها، ويذكر السلاوي أن "أبا المهاجر دينارًا" (55-62هـ) "كان أول أمير مسلم وطئت خيله المغرب الأوسط"، ويريد بذلك أنه كان أول من حمل الإسلام إلى تلك النواحي، وبشر به في ربوعها، وكسب له أنصارًا من أهلها، ويرى "مؤنس" في كتابه "فتح العرب للمغرب" أن إسلام كسيلة -زعيم أوربة- كان حدثًا عظيمًا، له معناه وأثره البعيدان، فأما معناه فيتمثل في نجاح الفاتح المسلم في القيام بالغرض الأسمى من الفتح وهو نشر الإسلام، وأما تأثيره فقد بدا واضحًا في أن الأمر لم يقف عند إسلام كسيلة، بل تبعه نفر كبير من قومه[1].

ردَّ الخليفة "يزيد بن معاوية" لعقبة اعتباره، وأعاده إلى ولاية المغرب عام (62هـ)، ولكن عقبة -ويا للأسف الشديد- وقع فريسة لأهوائه الشخصية، ونَسِيَ أنه نذر نفسه للجهاد، أي لمهمة كبرى تجعله يترفع عن صغائر الأمور، فنراه يميل إلى الانتقام بعد أن ملأ قلبه الحقد على "أبي المهاجر دينار" الذي حل محله في المغرب، وأساء معاملته عند عزله عام (55هـ)، ويرى العرباوي في كتابه "في جذور المسألة القومية" أن عقبة عام (62هـ) أنهى مرحلة من الفتوحات دامت 40 عامًا (22-62هـ)، ظلت فيها القبائل البربرية -البترية خاصة- تقف موقف المتفرج من الصراع الإسلامي البيزنطي، وهو في جوهره موقف سياسي، إن لم يكن فيه

---

[*] أوصى مسلمة مولاه دينارًا حين ولاه أمر إفريقية أن يعزل عقبة أحسن العزل، لكنَّ دينارًا خالفه، فأساء عزل عقبه وسجنه. ينظر ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص133.

([1]) مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص ص175-176.

انحياز نحو العرب، ففيه –بكل تأكيد– تخلٍ واضحٌ عن البيزنطيين[1].

ولم يقف عقبة عند حد القبض على أبي المهاجر، ووضعه في الحديد، بل تجاوز واشتط عندما كبل –أيضًا– صديقه كسيلة، لا لشيء إلا لأنه كان قريبًا من أبي المهاجر، الذي تمكن من هدايته إلى الإسلام، وكان من الممكن أن يستمر كسيلة في موقفه الداعم للعرب؛ لأنه عندما أسلم أسلمت معه قبيلته أوربة الحضرية، ودخلت في طاعة المسلمين، ولكن عقبة بدلًا من أن يستميل كسيلة عمد إلى إهانته وإذلاله –وهو كبير قومه– وعلى الرغم من أن دينارًا عرَّفه مكانته "وأنه من ملوك البربر ولم يستحكم الإسلام في قلبه"، ولكن عقبة استخف به، وأمعن في الإساءة إليه، إذ أمر بإحضار غنم وذبحها لإطعام العسكر، وطلب من كسيلة أن يسلخ مع السالخين؛ فقال له: "أصلح الله الأمير، هؤلاء فتياني يكفونني" فنهره عقبة وقال له: قم، فقام كسيلة غاضبًا، فكان كلما دحس في الشاه مسح ما علق بيده من بلل في لحيته، وجعل العرب يمرون عليه وهو يسلخ ويقولون: "يا بربري ما هذا الذي تصنع؟" فيقول: "هذا جيد للشعر" فمر به شيخ من العرب، فقال: "إن البربري يتوعدكم" فقال أبو المهاجر لعقبة: "أصلح الله الأمير، ما هذا الذي صنعت؟ كان رسول الله (ﷺ) يتألف جبابرة العرب... وأنت تجيء إلى رجل هو خيار قومه، في دار عزه، قريب عهد بالكفر فتفسد قلبه؟ توثق فإني أخاف فتكه"[2].

([1]) محمد مختار العرباوي: في جذور المسألة القومية (البربر عرب تدرى)، منشورات المجلس الأعلى للثقافة (الرباط، 1993)، ص41.

([2]) المالكي: رياض النفوس، ص40؛ ابن عذاري: البيان، 29/1.

وهكذا فإن سوء تصرف عقبة مع كسيلة ضيع على المسلمين انجذاب قبيلة حضرية كبيرة إلى الإسلام، وكان من الممكن أن يزيد هذا الانجذاب لو حرض عقبة على تطبيق سياسة اللين التي سار عليها الرسول (ﷺ) في معاملة حديثي العهد بالإسلام، وبالتالي تحيّن كسيلة الفرصة، وانفلت من معسكر عقبة، وبدأ يعد العدة للانتقام منه، وقد تقابلت رغبة كسيلة مع رغبة الروم الموتورين برغبة القبائل البربرية الغاضبة من سوء معاملة عقبة لها، خاصة تلك التي كان يهاجمها عقبة، ويستبيح أموالها ونساءها، عندما قام بحملته الكبرى على المغرب، وتمت مباغتته عند تهوذة، حيث استشهد وجميع من كان معه(*).

قام عقبة في ولايته الثانية (62-64هـ) بحملة كبرى على بلاد المغرب، أوغل فيها في بلاد المغرب الأقصى، وغزا القبائل في عقر دارها، وسبى، وغنم الشيء الكثير، وكثيرة هي النصوص التاريخية التي تتحدث عن سياسة عقبة العسكرية العنيفة، ومن خلالها يمكننا القول: إنَّ عقبة لم يخيّر السكان بين الإسلام، أو الجزية، أو القتال، بل فضل في الغالب اتباع أسلوب القوة، واستعمال البطش، ورغم كل ما يقال عن عدم جدوى الحملة، وأنها كانت استعراضية[1] لقوة المسلمين، ولم تضف إلى الفتوح شيئًا جديدًا، وأن عقبة لم يكن قائدًا سياسيًّا محنكًا، بل كان واعظًا دينيًّا

(*) وقع البعض في الأسر ونجو من القتل، فافتداهم صاحب قفصة، وألحقهم بزهير بن قيس في مدينة القيروان. ينظر: ناطق صالح مطلوب وآخرون: تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، ط1 (بيروت، 2004)، ص95.

([1]) قال ابن عذاري: "فجلا الناس أمامه بكل ناحية هاربين، وخافت المشركون أشد مخافة، حتى إنَّ قلوبهم تتخلع لذكره" = البيان، 27/1.

فحسب[1]؛ فإن الروايات تؤكد أن عقبة في هذه الحملة التي وطئت المغرب الأقصى لأول مرة تمكّن من كسب قبائل بربرية إلى الإسلام، وبناء مساجد في عدة مدن متعددة. يشير ابن عذارى إلى إسلام قبيلة جزولة، وكذلك المصامدة في إقليم تامسنا، حتى إنَّ أكثرهم أسلم طواعية على يديه، بل إنَّ عقبة ترك في بعض الأقاليم التي غزاها جماعة من أصحابه؛ لنشر الإسلام مثل شاكر الذي أقام رباطًا يحمل اسمه، علّم فيه المصامدة القرآن الكريم، وقواعد الدين الإسلامي، كذلك ذكر ابن عذاري –اعتمادًا على ما أخبره به أحد الشيوخ الصالحين– أن عقبة وضع أسسَ عددٍ من المساجد في درعة، وإيجلي، ونفيس بالمغرب الأقصى[2].

توالت بعد ذلك الحملات العسكرية على بلاد المغرب، وكان الجيش الذي دخل به "حسان بن النعمان الغساني" (73–85هـ) جيشًا ضخمًا، لم يدخل إفريقية جيشٌ مثلُه، ويقال: إنَّه انضم إليه في إفريقية العديد من المسلمين البربر يقودهم "هلال بن شروان اللواتي"[3](*)، وفي هذا دلالة أكيدة على حُسن إسلامهم، واستفادة العرب من خبرات أهل البلاد، حيث أصبح هناك من يواليهم، ويدلهم في مسيرهم، ويقاتل معهم أبناء جلدتهم، والجدير بالذكر أن حسانًا بعد انتصاره على الكاهنة أدخل البربر في الجيوش الإسلامية، شرط دخولهم في الإسلام، فقد انتظم في عهده اثنا

([1]) ينظر: حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص ص202–205.

([2]) البيان، 27/1، 43.

([3]) مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص238.

(*) يذكر ابن عبد الحكم أن حسانًا عندما وصل طرابلس انضم إليه الكثير من البربر = فتوح مصر، ص135.

عشر ألف بربري[*] قسمهم إلى فرقتين، كل فرقة تضم ستة آلاف مقاتل، وجعل على كل فرقة ابنًا من أبناء الكاهنة، التي كانت قد طلبت الأمان لهما، "فعقد لواءين لولدي الكاهنة، كل واحد منهما على ستة آلاف فارس، وأخرجهم مع العرب، يجولون في إفريقية، يقاتلون الروم ومن كفر من البربر، وحسن إسلام البربر وطاعتهم"[1].

ويمكننا القول: إنَّ أخذ الرهائن من القبائل المغربية كان يقصد به المحافظة على طاعتهم، وعدم تفكيرهم في التمرد، ولكن في الجانب الآخر فإن نشأة هؤلاء الرهائن في بيئة إسلامية كان يؤدي إلى تعرفهم على الإسلام عن كثب، وبالتالي عند عودتهم إلى أهاليهم يعتبرون رسلًا لنشر الدين بينهم، فكان الانخراط في الجند من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام بين البربر واندماجهم مع العرب، ويؤكد ذلك المالكي بقوله: "فمن ذلك صارت الخطط للبربر بإفريقية، فكان يقسم الفيء بينهم والأرض، وحسنت طاعتهم؛ فدانت له إفريقية، ودوّن الدواوين"[2].

كان حسان يسوي بين العرب والبربر في قسم فيء الحروب وغنائمها؛ أي أنه لم يعتبر العربي حاكمًا والبربري محكومًا، بل تساوى الاثنان في الحقوق والواجبات،

---

[*] كان مع حسان جماعة من البتر، ولى عليهم الأكبر من ابني الكاهنة. ينظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص135.

([1]) أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلى الزيدان، وعز الدين عمر موسى، دار الغرب، ط1 (بيروت، 1990) ص34.

([2]) المالكي: رياض النفوس، ص56.

وفي الاشتراك في الحروب واقتسام الغنيمة[1].

ويعد بناء تونس من الأعمال المهمة التي قام بها حسان، حيث عُمِرت المدينة بالعمائر المهمة، وقامت بها المساجد، وكان دورها في نشر الإسلام والعروبة في بلاد المغرب لا يقل عن دور القيروان[2].

ولم يكن دور "موسى بن نصير" (85-95هـ) في نشر الإسلام والعروبة أقلَّ من سابقيه؛ فبعد الحملات المكثفة التي قام بها على بلاد المغرب الأقصى عاد إلى القيروان تاركًا مولاه "طارق بن زياد" عاملًا على طنجة وما والاها، وترك معه سبعة وعشرين فقيهًا[*]؛ ليعلموا البربر أصول الدين، واللغة العربية[3].

وقد بالغ ابن عذاري عندما قال: إنَّ المغرب الأقصى تحول كله إلى الإسلام في عهد موسى، "وفي هذا التأريخ أسلم أهل المغرب الأقصى، وحولوا المساجد (الكنائس والمعابد) التي بناها المشركون إلى القبلة، وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات، وفيها صنع مسجد أغمات هيلانة"[4]. يفهم من هذه العبارة أن من أسلموا كانوا في الغالب من البربر الحضر، الذين يسكنون المدن التي فيها كنائس يمكن تحويلها إلى مساجد، ويمكننا القول: إنَّ الإسلام كان قد شق طريقه إلى بلاد

([1]) مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص275.

([2]) ناطق: تاريخ المغرب العربي، ص174.

([*]) يجعلهم ابن عذاري سبعة عشر فقيهًا: البيان، 42/1.

([3]) الرقيق: تاريخ إفريقية، ص39.

([4]) ابن عذاري: البيان، 43/1.

المغرب الأقصى مع حملة عقبة، خاصة وأن أحد أصحابه المدعو شاكرًا أقام رباطًا في بلاد المصامدة للدعوة إلى الإسلام، ثم ازداد انتشار الإسلام بعد حملة موسى، ولكنه لم يكن بشكل تام؛ لأنه حتى قيام دولة الأدارسة في القرن الثاني الهجري (172هـ) كانت هناك مناطق لا تزال تنتشر فيها ديانات كالوثنية، والمسيحية، واليهودية، بل وديانة خارجة عن الإسلام "زندقة برغواطة"[1].

وعلى العموم فإن الكثير من قبائل المغرب الأقصى أخذت تقبل على الإسلام وتدخل في طاعة المسلمين، وقدمت الكثير من أبنائها رهائن لموسى نظير إذعانها وطاعتها، وبالتالي كوَّن موسى من هؤلاء الرهائن جيشًا، جعل على قيادته طارق بن زياد، فكان لهم فضل فتح شبه الجزيرة الأيبيرية، ويؤكد ابن خلدون على أن إشراك البربر في فتح الأندلس كان له أثره الكبير على استقرار الفتح في بلاد المغرب، حيث وجد هؤلاء مجالًا واسعًا للجهاد، والحصول على الغنائم، وبالتالي ركنوا إلى الهدوء، والتزموا الطاعة، ولكنّ "البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة، ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز طارق وموسى إلى الأندلس، بعد أن دوخ المغرب، وأجاز معه كثير من رجالات البربر، وأمرائهم برسم الجهاد، فاستقروا هناك حتى لدن الفتح، فحينئذٍ استقر الإسلام بالمغرب، وأذعن البربر لحكمه، ورسخت فيهم كلمة الإسلام، وتناسوا الردة"(*)[2].

([1]) ابن خلدون: العبر، طبعة 2006، 15/4.

(*) لا يقصد بالردة هنا الخروج عن الدين، إنما المقصود منها الخروج عن طاعة العرب.

([2]) العبر، 110/2.

سياسة اللين والشدة في عصر الولاة وأثرها على انتشار الإسلام:

مع نهاية ولاية موسى بن نصير ينتهي في المغرب عصر الفتح، ويبدأ عصر جديد هو عصر الولاة (97-184هـ)، وكانت السمة العامة لهذا العصر تراوح سياسة الولاة بين اللين وتطبيق العدالة والمساواة، إلى سياسة العنف والتعسف مع البربر، الذين جرى كسبهم بعد طول معاناة لصالح القضية الإسلامية، ومن الولاة الذين اتسمت سياستهم بالتسامح تجاه الأهالي، الوالي "محمّد بن يزيد القرشي" (97-100هـ)، الذي امتدحه ابن عذاري بقوله: "استقر محمّد بن يزيد بإفريقية بأحسن سيرة وأعدلها"، كما أنه لم يُخفِ إعجابه بإسماعيل بن أبي المهاجر دينار (100-102هـ) عندما قال: إنَّه "خير أميرٍ وخير والٍ"، وقد كان هذان الواليان يدعوان البربر إلى الإسلام، حتى قيل: إنَّ بقية القبائل أسلمت على يديه (أي دينار)، وأنه لم يبق في ولايته يومئذٍ من القبائل المغربية إلا وقد أسلم[1]. ويرجع إليه الفضل في تعليم أهل إفريقية أمور دينهم، وكانوا حتى هذا الوقت لم يتعمقوا في الدين، ولم يكن باستطاعتهم التفريق بين الحلال والحرام، حيث أرسل الخليفة "عمر بن عبد العزيز"[**] (99-101هـ) بعثة دينية تتألف من عشرة فقهاء من التابعين، و"كانت

([1]) البيان، 1/47-48.

[**] حاول الخليفة عمر بن عبد العزيز وضع حد لتسلط الولاة، واستعادة ثقة البربر في الحكومة الإسلامية، فأمر بإسقاط الجزية على من أسلم من البربر، وتحرير من استرق من نسائهم، كما أمر بإقرار القرى في يد غنَّامها بعد أخذ الخمس، لتصير الأرض إلى أصحابها، فيجنون ثمارها، ويدفعون عنها خراجها المعلوم، وقد حرص عمر بن عبد العزيز على أن يجمع إسماعيل بن عبيد الله بين أعباء الإدارة والحرب إلى جانب الخراج والصدقات؛ ليحول دون جور الجباة واستبدادهم،

الخمر بإفريقية حلالًا حتى وصل هؤلاء التابعون، فبينوا تحريمها"[1]، وقد أورد المالكي في رياضه أسماء هؤلاء الفقهاء، وهم:

أبو الجهم عبد الرحمن بن نافع: "سكن القيروان، وانتفع به خلق كثير، وهو أول من اسْتُفْضِي بها بعد فتحها، ولاه عليها موسى بن نصير" (ت: 113هـ).

أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي.

أبو عبد الرحمن الحبلى: "انتفع به أهل إفريقية، وبث بها علمًا كثيرًا" (ت: 100هـ).

إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري المعروف بتاجر الله[*]: "كان من سكان القيروان، انتفع به خلق كثير من أهلها وغيرهم، وبث فيها علمًا غزيرًا" (ت 107هـ).

موهب بن حي المعافري.

حبان بن أبي جبلة القرشي: "سكن القيروان وانتفع به أهلها" (ت: 125هـ).

أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي: "كان فقيهًا مفتيًا، سكن القيروان" (ت: 128هـ).

ينظر: محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، دار الثقافة، ط2 (الدار البيضاء، 1985) ص34.

([1]) ابن عذارى: البيان، 48/1.

[*] سمي بتاجر الله؛ لأنه جعل ثلث كسبه لله يصرفه في وجوه الخير.

أبو سعيد جُعتُل بن عاهان بن عمير: "تولى قضاء الجند بإفريقية لهشام بن عبد الملك" (ت: 115هـ).

إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر دينار: "سكن القيروان، وسار فيهم بالحق والعدل، وأسلم على يديه خلق كثير من البربر" (ت: 132هـ).

طلق بن جابان الفارسي[1].

ومن خلال هذه التراجم يتبين لنا أن أغلب هؤلاء الفقهاء استوطنوا القيروان، وابتنوا المساجد ليعلموا فيها البربر الإسلام، ويعد جامع الزيتونة الذي بناه تاجر الله[2] من أهم المساجد التي ساهمت في إسلام المغاربة وتعريبهم، وقد حرص العرب الذين استقروا بإفريقية على أن تلحق بالمساجد الكتاتيب؛ لتعليم أبنائهم القرآن والحديث واللغة، ويشار إلى أن الكتاتيب فُتِحت منذ وقت مبكر، ربما منذ تمصير القيروان، ويستدل على ذلك من النص التالي: "حكى غياث بن أبي شبيب، قال: كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله (ﷺ) يمر علينا ونحن غلمة بالقيروان، فيسلم علينا في الكُتَّاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه"، وسفيان هذا دخل إفريقية عام (78هـ)[3]، وفي هذا ما يفيد بأن الكتاتيب كانت قد انتشرت في إفريقية قبل هذا التاريخ.

([1]) المالكي: رياض النفوس، ص ص99-118.

([2]) المصدر نفسه، ص107.

([3]) المصدر نفسه، ص91؛ مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص297.

وعمومًا فقد تميزت هذه الفترة من عصر الولاة بحرص خلفاء بني أمية على حُسِن معاملة البربر(*)، وكثرة بناء المساجد، وقدوم الفقهاء ليتفقه البربرُ في دينهم الجديد.

ويمكننا القول: إنَّ ولاية (القرشي، ودينار) كانتا خيرًا على المغرب، إذ بفضلهما انتشر الإسلام بين الكثير من القبائل، كما رسخت مبادئ الإسلام بين القبائل التي مضى على إسلامها وقتٌ من الزمن.

ولكن الوضع لم يثبت على ما كان عليه في عهد الخليفة المصلح "عمر بن عبد العزيز"، الذي عمل جاهدًا على نشر العدالة والمساواة بين المغاربة والعرب، فبتولي الخليفة "يزيد بن عبد الملك"–الذي تبنى سياسة الشدة– تبدأ في المغرب مرحلة جديدة، كان شعارها استعمال العنف والقوة مع المغاربة، وكان أول من طبق هذه السياسة يزيد بن أبي مسلم (102هـ) –مولى الحجاج بن يوسف الثقفي وصاحب شرطته– الذي وصفه ابن عذاري بأنه كان "ظلومًا غشومًا"، فبمجرد وصوله إلى المغرب قام بأعمالٍ لم يألفها الناس، ففرض على البربر الجزية على الرغم من إسلامهم، كذلك عمد إلى وشم الحرس الذي في خدمته؛ وذلك بكتابة اسم الحارس في يده اليمنى، وكتابة كلمة "حرسي" في يده اليسرى، وهو ما كان يفعله الروم بحرسهم. يقول النص: "إني رأيت أن أرسم اسم حرسي في أيديهم، كما تصنع ملوك

(*) أوصى سليمان بن عبد الملك واليه على المغرب محمد بن يزيد قائلًا: "قم فيما وليتك بالحق والعدل" = ابن عذاري: البيان، 47/1، كما أن يزيد بن عبد الملك لم يكن راضيًا على تصرفات واليه يزيد بن أبي مسلم، والدليل على ذلك قوله: "إني لم أرض عما صنع يزيد بن أبي مسلم" = مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص289.

الروم بحرسها، فأرسم في يمين الرجل اسمه، وفي يساره "حرسي"؛ ليُعرفوا بذلك من بين سائر الناس"، فعندما علم الحرس بذلك عزموا على قتله، وقالوا: "جعلنا بمنزلة النصارى"[1]، واعتبروا ذلك إهانة لهم، وهم قوم يعتزون بكرامتهم كثيرًا.

ومرت بعد ذلك سنوات تعاقب فيها على أمور المغرب عدد من الولاة، منهم "بشر بن صفوان الكلبي" (102-109هـ)، وعبيدة بن عبد الرحمن السلمي"[**] (110-115هـ)، و"عبيد الله بن الحبحاب" (116-123هـ)، أسرف فيها هؤلاء في العنف والعصبية القبلية، والاستبداد والظلم في حق البربر، ويشار إلى أن "عبيد الله بن الحبحاب" عمل على إخضاع القبائل في المغرب الأقصى، فقسمه إلى قسمين: السوس الأدنى؛ ويشمل طنجة، وما يلحق بها من المغرب الأقصى، وعين "عمر بن عبد الله المرادي" واليًا عليهم، والسوس الأقصى -وكان في هذه الفترة مضطربًا- لذلك أرسل ابن الحبحاب حبيب بن أبي عبدة الفهري على رأس حملة تمكنت من إخضاع القبائل هناك[2]. يقول ابن عذاري: "وبعث حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع الفهري غازيًا إلى السوس الأقصى، فبلغ أرض السودان[*]، ولم يقابله أحد إلا ظهر عليه، ولم يدع بالمغرب قبيلة إلا دخلها، وأصاب من السبي

([1]) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص64؛ ابن عذاري: البيان، 48/1.

([**]) يقول ابن عبد الحكم: إنَّه "جمع من الإماء والجواري والعبيد والخصيان والدواب والذهب الشيء الكثير". ينظر: فتوح مصر، ص143.

([2]) ناطق وآخرون: تاريخ المغرب العربي، ص134-135.

([*]) المقصود بها الصحراء الجنوبية من بلاد مسوفة ولمتونة الصنهاجية، المؤدية إلى مدينة أودغست (أولى بلاد السودان) = عبد الحميد: المغرب العربي، 282/1.

أمرًا عظيمًا"[1].

وهناك نص مهم لابن عذاري يشير فيه إلى استخدام أسلوب العنف والقسوة مع القبائل المغربية في المغرب الأقصى، فيقول: إنَّ ابن المرادي "أساء السيرة، وتعدى في الصدقات والعُشر، وأراد تخميس البربر، وزعم أنهم فيء[**] للمسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يجب للإسلام، فكان فعله الذميم هذا سببًا لنقض البلاد، ووقوع الفتن العظيمة المؤدية إلى كثير القتل في العباد"[2].

ويفهم من عبارة "وأراد تخميس البربر، وزعم أنهم فيء للمسلمين" هو اعتبار المغرب الأقصى "دار حرب"، وأن بعض القبائل دخلت في طاعة المسلمين فخمّست. كذلك نفهم من فقرة "وتعدى في الصدقات والعُشر" أن هذه الأموال لم تؤخذ بحقها، وأنه أسرف في جمع الأموال بغير وجه حق، ويضيف ابن عذاري – في مكان آخر– نصًّا لا يقل أهمية عن هذا النص، يلوم فيه بعض خلفاء بني أمية، حيث إنَّهم بإلحاحهم على الولاة في إرسال المزيد من الأموال والسبي إلى الخلافة كانوا –بطريق مباشر أو غير مباشر– سببًا في قسوة عمال المغرب مع رعيتهم، فكانوا يتنافسون في جمع الأموال؛ لإرسالها إلى خزينة الدولة، والقيام بغزوات في جزر البحر القريبة من المغرب؛ للحصول على الغنائم، وبالطبع كان

([1]) البيان، 51/1.

([**]) الفيء معناها شرعًا: هو ما أخذه المسلمون من غيرهم من دون قتال.

([2]) البيان، 51/1–52.

البربر يشكلون غالبية الجيوش، وبالتالي كانوا أداة لتحقيق أطماع الولاة[1]، و"كان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب، ويبعثون بها إلى عامل إفريقية، فيبعثون لهم البربريات السنيات، فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب مناهم بالكثير، وتكفل لهم أو كلفوه أكثر ما كان، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة"[2].

ونود هنا أن نشير إلى أن الخليفة عمر بن عبد العزيز –في أثناء خلافته– لاحظ أن عمال المغرب استمروا في إرسال بنات المغاربة –بوصفهنَّ جواريَ– إلى قصر الخلافة، فصدرت أوامره "بأن من كانت عنده لواتية فليخطبها إلى أبيها أو فليردها إلى أهلها"[3].

ولعلنا نجد في النصوص التاريخية صدى لمثل هذه التصرفات، فعمر بن العاص عندما عقد صلحه مع أهل برقة الذي يقضي بدفع الجزية، وكان مقدارها 13.000 دينار بواقع دينار على كل حالم، اشترط على لواته "أن عليكم أن تبيعوا أبناءكم ونساءكم فيما عليكم من جزية"[*][4]، ولكن لو افترضنا جدلًا أنه حدث الاتفاق بين عمر ولواته على ذلك، وكان ذلك في أوائل الفتح، فهل يعقل أن يستمر العمل بمثل ذلك الاتفاق إلى أواخر القرن الأول الهجري، وأوائل القرن الثاني؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ألا يمكن أن تكون هذه المظالم التي ورد ذكرها في بعض

([1]) إسماعيل: الخوارج، ص133.

([2]) ابن عذاري: البيان، 52/1.

([3]) البلاذري: فتوح البلدان، ص325.

([*]) راجع المناقشة القيمة التي قام بها عبد الحميد في كتابه تاريخ المغرب العربي، 132/1.

([4]) البلاذري: فتوح البلدان، ص324–5.

المصادر من تلفيق دعاة الخوارج؟ الذين وجدوا في بلاد المغرب البعيدة عن أنظار الخلافة تربة خصبة لبذر أفكارهم الداعية إلى التمرد والعصيان، وربما التجني على ولاة الدولة الأموية، وإلصاق هذه التهم بهم؛ ليظهروهم في صورة سيئة، تبعدهم عن تطبيق مبادئ العدالة والمساواة بين العرب والبربر، فصاحب كتاب أخبار مجموعة يشير إلى ذلك فيقول: "وقد يقول من يطعن على الأئمة: إنهم إنما خرجوا ضيقًا من سير عمالهم، وإن الخليفة وولده كانوا يكتبون إلى عمال طنجة في جلود الخرفان العسلية؛ فتُذبح مائة شاة، فربما لم يوجد فيها جلد واحد، وهو قول أهل البغض للأئمة"[1]، ويقصد بذلك الخوارج.

وعلى العموم فإن المؤرخين يشيرون إلى سوء معاملة بعض ولاة المغرب وعمالهم لأهالي المغرب، ويؤكدون أن المغاربة سيّروا وفدًا إلى دمشق؛ لعرض شكواهم على الخليفة، كان مكونًا من بضعة عشر رجلًا، على رأسه ميسرة المدغري، غير أنَّ هذا الوفد مُنع من مقابلة الخليفة، فقدم شكواه إلى الوزير الأبرش، وكانت تتلخص في النقاط الآتية:

حرمان المغاربة من نصيبهم من الغنائم عند الغزو.

تقديم الجنود المغاربة عند الغزو على الجنود العرب.

التعدي على ممتلكات المغاربة من الماشية؛ من أجل الجلود النادرة.

([1]) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري (القاهرة، د.ت) ص37.

أخذ الفتيات الجميلات، وإرسالهن إلى قصر الخلافة[1].

ويرى محمود إسماعيل أن الهدف من تسيير هذا الوفد هو الوقوف على موقف الخلافة من سياسة عمالها في المغرب، وأخذ الحجة عليها؛ تبريرًا لقيامهم بالثورة حسبما ينص عليه مبدأ الخوارج في "الثورة على أئمة الجور، وهو ما ذكره الطبري بأن الجماعة أرادت أن تعرف "أعن رأي أمير المؤمنين هذا أم لا؟"، وعندما حيل بين الوفد وبين لقاء الخليفة، أدرك ميسرة وجماعته أن الخلافة متواطئة مع عمالها فيما يحدث بالمغرب من ظلم وجور، فعقدوا العزم على الثورة[2]، وقد واتتهم الفرصة عندما خرج حبيب ابن أبي عبدة غازيًا إلى صقلية عام (122هـ)، فأعلنوا الثورة، وولوا ميسرة إمامًا عليهم، وعندما علم الخليفة هشام بن عبد الملك بذلك غضب غضبًا شديدًا، واستدعى عامله على المغرب ابن الحبحاب، وعزم على إنهاء الثورة في مهدها، وقد عبر عن ذلك بقوله: "والله لأغضبن لهم غضبة عربية، ولأبعثن لهم جيشًا أوله عندهم وآخره عندي"[3].

ولا نريد هنا الخوض في تفاصيل الثورة، فهي كما قال ابن عذاري: "وقائع كثيرة بين أهل المغرب الأقصى وأهل أفريقية، يطول ذكرها"[4]، وإنما يهمنا الإشارة إلى أهم

([1]) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، دار المعارف (القاهرة، 1970) ص254.

([2]) إسماعيل: الخوارج، ص64.

([3]) ابن عذاري: البيان، 54/1.

([4]) المصدر نفسه، 52/1.

نتائجها، وهي أنها فتحت الباب على مصراعيه للمبادئ الخارجية[*]، بل والأكثر من ذلك لمذاهب متطرفة بعيدة عن روح الإسلام (زندقة برغواطة)، "وكان بالمغرب حينئذٍ (زمن الثورة) قوم ظهرت فيهم دعوة الخوارج، ولهم عدد كبير، وشوكة كبيرة، هم برغواطة"[1].

وهكذا فإن إساءة بعض العمال للبربر وانتهاك حقوقهم، ولّد بينهم مشاعر الكراهية للعرب، وبالتالي تعثرت الجهود التي بذلت طيلة سنوات؛ من أجل إسلام البربر وتعريبهم، فكانت ثورة مدمرة، أُزهقت فيها الأرواح، وتعطلت المصالح، وخُربت البلاد.

وعلى الرغم من الدور السيّئ الذي مارسه دعاة الخوارج في تأليب البربر وتحريضهم على الثورة، والخروج على ما يسمونهم "أئمة الجور والظلم"، فإنه لا يمكن إغفال دورهم في تشرب البربر لتعاليم الإسلام وفرائضه، وخاصة الخوارج الإباضية، الذين اعتبروا أرض المغرب أرض جهاد لنشر الإسلام، ولقيام الإمامة الإسلامية العادلة[2][*].

---

[*] يرى محمود إسماعيل أن الظهور الحقيقي للخوارج في بلاد المغرب يعود إلى أواخر ق1هـ وأوائل ق2هـ = الخوارج في المغرب، ص43.

([1]) ابن عذاري: البيان، 53/1.

([2]) آمال محمد حسن: دور الإباضية في نشر الإسلام في بلاد المغرب، مجلة المؤرخ العربي، ع52، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب (بغداد، 1995)، ص101.

[*] يرى مؤنس أن انتشار الإسلام في المغرب لو اعتمد على سياسة الدولة الأموية لتوقف،؛وذلك أن الخلفاء وعمالهم لم يهتموا بحركة نشر الإسلام قدر اهتمامهم بجباية الأموال، وملء خزينة

دور الفقهاء والعلماء في نشر الإسلام:

ولا يفوتنا عند ختام حديثنا عن سياسة اللين والشدة، وأثرها على نشر الإسلام في بلاد المغرب، الإشارة إلى دور الفقهاء والعلماء، فمن المعروف أن نشر الإسلام لم تكن ترعاه مؤسسات دينية تبشيرية كالمسيحية، بل كان يقع على عاتق الأفراد، وقد مر بنا دور قادة الفتح؛ كعقبة ودينار وغيرهما، في اجتذاب بعض قبائل البربر إلى الإسلام، وقد كانت جيوش الفتح تزخر دائمًا بالكثير من الصحابة، وكانوا أهل علم وفضل، وقد أورد المالكي في رياضه أسماء كثير منهم، مثل "عبد الله بن العباس" الذي كان يُوصف بأنه: "بحر العلوم"، و"زياد بن الحارث الصدائي" الذي "انفرد أهل إفريقية بحديثه"، و"بسر بن أبي أرطأة" الذي دعا أهل صحراء طرابلس للإسلام، و"رويفع بن ثابت الأنصاري" الذي "كان له بالمغرب وإفريقية ولايات وفتوحات"، و"عبد الله بن عمر" الذي استمر يفتي المسلمين في الحلال والحرام ستين سنة، و"عبد الله بن الزبير" الذي غزا إفريقية مع "ابن أبي السرح" وقتل "جرجير" ملك الروم، ويقال: إنَّه أسس مسجدًا في الموقع الذي بُنيت فيه القيروان فيما بعد، و"عبد الله بن سعد بن أبي السرح" الذي دخل إفريقية غازيًا عام (27هـ)، وذُكر أنه بنى مسجدًا بإفريقية عند "باب عبد الله"، وقد دخل مع "ابن أبي السرح" كثير من الصحابة ممن يبدأ اسمهم "بعبد"، فسُميت لذلك بحملة العبادلة.

بعد ذلك دخل المغرب كثير من التابعين، الذين أخذوا العلم عن الصحابة، فكانت

الدولة، وبالتالي كان للخوارج دور ملحوظ في تفقيه البربر في دينهم. ينظر: فتح العرب للمغرب، ص295.

لهم جهود طيبة في تعليم البربر أصول دينهم، وساهموا مساهمة كبرى في تعريب ألسنتهم، وقد سبق وأشرنا إلى البعثة العلمية المكونة من عشرة فقهاء من التابعين، التي أرسلها الخليفة "عمر بن عبد العزيز" لتعليم البربر وتفقيههم في أمور دينهم، حيث استقر أغلب هؤلاء في القيروان، وأسس بعضهم مساجد اتخذوها مراكز لاستقطاب المسلمين الجدد، فكان لهم الفضل الكبير في تفريق البربر بين الحلال والحرام.

وبالإضافة إلى هؤلاء فقد كان هناك كثير من التابعين الذين دخلوا إفريقية، وأشاعوا فيها روحًا علمية، منهم:

أبو عبد الله رباح بن قصير اللخمي: "قدم إفريقية غازيًا مجاهدًا، وسكن القيروان، واختط بها دارًا ومسجدًا، وانتفع به وتفقه على يديه أهل القيروان".

أبو رشدين حنش بن عبد الله الصنعاني: "من أهل الفضل والدين، سكن القيروان، واختط بها دارًا ومسجدًا" (ت: 100هـ).

أبو غُطيف الهذلي: "من فضلاء المؤمنين، سكن القيروان، واختط بها".

أبو سعيد المقبري: "كان من فضلاء التابعين، سكن القيروان، وروى عنه أهلها" (ت:100هـ).

أبو المغيرة عبد الله بن المغيرة: "تولى القضاء في إفريقية لعمر بن عبد العزيز".

زياد بن أنعم الشعباني: "سكن القيروان، واختط بها مسجدًا في ناحية باب نافع".

أبو يحيى عياض بن عقبة بن نافع: "سكن إفريقية واستقر بها لفترة" (ت: 100هـ).

أبو الأشعث ربيعة بن زيد: "كان معدودًا من التابعين، دخل إفريقية غازيًا، وتوفي عام 123هـ مقتولًا على يد البربر".

أبو منصور مولى سعد بن أبي وقاص: "كان مقرئًا للقرآن ومفتيًا، سكن القيروان إلى أن مات بها".

أبو علقمة مولى عبد الله بن العباس: "سكن إفريقية وتولى القضاء فيها".

أبو عثمان مسلم بن يسار المعروف بالطنبذي: "سكن القيروان، وتوفي بها".

أبو عمران موسى بن الأشعث البلوى.

ميسرة الزرودي: "من أهل الفضل والدين، سكن إفريقية، واستقر بها".

عمرو بن راشد بن مسلم الكناني: "استقر بتونس واختط بها، وكان من فضلاء المؤمنين"[1].

كذلك كانت إفريقية بعد استقرار الفتح الإسلامي بها منطقة عبور، مر بها كثير من العلماء الذين اتخذوا الأندلس مستقرًا لهم، وقد وفد على الأندلس كثير من العرب،

([1]) المالكي: رياض النفوس، ص ص121-137.

سواء أكان ذلك للإقامة أم المشاركة في الجهاد، وفي أثناء مرور هؤلاء ببلاد المغرب احتكوا بالبربر، وبالتالي أتيحت للبربر الفرصة ليتعلموا المزيد عن الإسلام واللغة العربية، وبالتالي كان لفتح الأندلس أعظم الأثر على إسلام البربر، واندماجهم في الأمة المسلمة[1].

وفي نهاية بحثنا عن سياسة اللين والشدة، وأثرها على انتشار الإسلام في بلاد المغرب من الفتح إلى الثورة نقول: قد جابه العرب طيلة سنوات الفتح قبائل بربرية كثيفة العدد، ومتمرسة في القتال، إلى جانب القوات البيزنطية المتمركزة في المدن والحصون والقلاع، وعدا المصالح المشتركة، فإنه لم يكن هناك ما يجمع بين هذه القبائل، بل إنَّ الخلافات والحروب كثيرًا ما كانت تقع بينهم، وإحساسهم بوحدة المصير كانت تطفو على السطح عندما يتعرض وطنهم لعدوان خارجي، لذلك لم يستكن البربر للغزاة من: الفينيقيين، والرومان، والبيزنطيين، والوندال، لكن الأمر اختلف كثيرًا عندما دخل الفاتحون العرب بلادهم، فمنذ بداية الفتح رأينا الكثير من البربر –خاصة البتر– يعتنقون الإسلام عن قناعة وعقيدة، وينضمون إلى الجيوش العربية عندما تدخل المغرب، ويقاتلون أبناء جلدتهم في سبيل فتح الباب أمام الإسلام وحضارته، ولعل التشابه بين العرب والبربر –من حيث انقسامهم إلى قبائل وتقاربهم في العادات والتقاليد– كانت من أكبر العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام بينهم، وإزاحة الغشاوة التي كانت تمنعهم من رؤية الجوانب الإيجابية للوجود الإسلامي في بلاد المغرب، وعلى الرغم من تعثر عمليات الفتح في بعض

(1) مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص292.

الأحيان، وطول مدته، فإنه في النهاية اندمج البربر في بوتقة الإسلام، وتهافتت القبائل المغربية على القيام بدورٍ في بناء دولة الإسلام، وكانت الثمرة الحقيقية لهذا الإنجاز العظيم فتح شبه الجزيرة الأيبيرية أواخر القرن الأول الهجري.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية:

ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين: الكامل في التاريخ، ج3، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: العبر وديوان المبتدأ والخبر، م2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959، م4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006.

ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن: فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، مطبعة لجنة البيان، القاهرة، (د.ت).

ابن عذاري، أبو عبد الله بن محمد: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1–2، تحقيق ج. س. كولان، ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة العربية، بيروت، 1983.

البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، تحقيق عبد الأمير مهنا، ط1، دار اقرأ، بيروت، 1992.

الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيداني وعز الدين عمر موسى، ط1، دار الغرب، بيروت، 1990.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، ج4، دار المعارف، القاهرة، 1970.

المالكي، أبو بكر عبد الله، رياض النفوس، تحقيق بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.

مجهول، مؤلف: أخبار مجموعة، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، (د.ت).

ثانياً: المراجع الثانوية:

أبو صوة، محمود أحمد: مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي، منشورات ELGA، مالطا، 1997.

إسماعيل، محمود: الخوارج في بلاد المغرب، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.

حسن، آمال محمد: دور الإباضية في نشر الإسلام في بلاد المغرب، مجلة المؤرخ العربي، ع52، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1995.

عبد الحميد، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995.

العرباوي، محمد مختار: في جذور المسألة القومية، (البربر عرب تدرى)، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، الرباط، 1993.

مارسيه، جورج: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991.

المزيني، صالح: ليبيا منذ الفتح الإسلامي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، منشورات جامعة بنغازي، بنغازي، 1994.

مطلوب، ناطق صالح وآخرون: تاريخ المغرب العربي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004.

مؤنس، حسين: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية (د.ت).